رأي القدس

لبنان بعد «النصر الالهي»

■ أحيا اللبنانيون امس «يوم النصر الالهي» حيث تدفق اكثر من مليون شخص الى الضاحية الجنوبية من بيروت، لكي يستمعوا الى السيد حسن نصر الله وخطابه الذي جاء قويا معبرا متحديا واضعا النقاط على الحروف تجاه العديد من القضايا الساخنة، لبنانيا وعربيا.

ان يظهر السيد نصر الله وفي ساحة عامة، وسط التهديدات الاسرائيلية العلنية باغتياله، فهذه شجاعة نادرة، وتكشف عن سابقة غير معهودة لدى الكثير من الزعامات العربية، التي تتحرك في بلدانها وسط رهط من سيارات الحراسة. وشجاعة السيد نصر الله لم تتمثل في هذا التحدي الواضح للاسرائيليين فقط، وانما امتدت الى القضايا التي تضمنها خطابه، فلم يهادن ايا من الاطراف اللبنانية أو العربية التي رفعت راية العداء له ولحزبه، وشككت في انتصاره، وحملته مسؤولية الدمار الذي لحق بلبنان.

السيد نصر الله كان يتحدث فعلا من موقع المنتصر، طالب الشهادة والعزة والكرامة لشعبه وامته، وتحدث لغة انقرضت منذ عقود في ادبيات النظام الرسمي العربي، عندما اكد قدرة الجيوش العربية على تحرير فلسطين، لو وجدت الارادة والزعامة التي تملك شجاعة اتخاذ هذا القرار، وتتمسك بتحرير كل الاراضي العربية المحتلة، واكد مجددا على عدم تسليم اي جندي اسرائيلي اسير قبل الافراج عن جميع الاسرى اللبنانيين.

ولعل النقطة الاهم في خطاب السيد نصر الله لبنانيا، هي تلك التي تتعلق بسلاح «حزب الله» حيث اكد ان كل جيوش الارض لن تنجح في نزع هذا السلاح لانه ليس سلاحا شيعيا بل ايضا سنيا ودرزيا ومسيحيا، سلاح لكل لبنان. فقوى الرابع عشر من ايار ستصاب بخيبة امل كبرى وقلق كبير من جراء سماعها لمثل هذه المواقف المشوبة بالتحدي، خاصة تشديده على ان الحزب بات اكثر قوة وخبرة، ويملك في جعبته اكثر من عشرين الف صاروخ.

خطاب السيد نصر الله كان «اعلان حرب» على القوى اللبنانية المتحالفة مع المشروع الامريكي الذي يرمي الى نزع سلاح الحزب، وتفريغ انتصاره من مضمونه، اعتمادا على قوات المراقبة الدولية «اليونيفيل» بالاشتراك مع الجيش اللبناني. فقد اعلن صراحة معارضته للحكومة اللبنانية الحالية، وسخر من رئيسها السيد فؤاد السنيورة عندما غمز من زاوية دموعه التي سكبها اثناء اجتماع وزراء خارجية الدول العربية الذي انعقد في لبنان اثناء الحرب بقوله، ان صمود المقاومة وانتصارها على ارض المعركة هما اللذان اوقفا اطلاق النار وليس «الدموع» والدبلوماسية اللبنانية وجهود الحلفاء.

والاهم من ذلك انه طالب بامرين اساسيين، الاول استبدال حكومة وحدة وطنية بالحكومة الحالية، وتغيير النظام الانتخابي اللبناني بما يؤدي الى تحقيق العدالة للطوائف اللبنانية من حيث التمثيل في مجلس النواب.

انه خطاب يتضمن برنامج عمل متكامل للمرحلة المقبلة، مثلما يتضمن تخليا عن اسلوب الصمت وعدم الرد على هجمات المعارضين للحزب في المعسكر الآخر، وهجماتهم الاعلامية، وهذا تطور جديد وغير مسبوق في ادبيات حزب الله ومسيرته السياسية على مدى السنوات العشر الماضية على الأقل.

السيد نصر الله لم يكن يخاطب اللبنانيين وحدهم، وانما مئات الملايين من العرب والمسلمين المحبطين في مختلف انحاء العالم، مثلما كان يخاطب الاسرائيليين والامريكيين، من موقع «المنتصر» وبما يكرس زعامته ويقزم من زعامات الآخرين.

مؤتمر الحزب الحاكم الذي لم يكن صاحبه غائبا

الأكاذيب لا تخفف من وطأة المشاكل ولن تنجز مهمة «التوريث» المعقدة

محمد عبدالحكم دياب *

■ اختتم الحزب الحاكم في مصر أعمال مؤتمره الرابع أثناء كتابة هذه السطور، وكما توقع أغلب المحللين والمراقبين أنه نجح في نقل الوضع المصري المتردي من الأسوأ إلى الأكثر سوءا، ولم يخرج عن كونه مهرجانا لأكاذيب وكلام إنشائي، في محاولة للتغطية على الجرائم التي تقترف يوميا في حق المواطنين.. وقصر النظر هو الذي يصور للأغبياء من السياسيين والحكام أن الأكاذيب وسيلة ناجعة للضحك على العامة، وأنها كفيلة بإطالة عمرهم السياسي. والحقيقة التي نلمسها جميعا أن المواطن يرغب في تصديق ما يقال، وكل ما يهمه هو تطابق القول مع الفعل، وقيام الدولة بواجبها تجاه مواطنيها، إلا أن الواقع يقول لهم عكس ذلك. وفي الحالة المصرية عجز الإعلام وآلته الجبارة عن تجميل صورة شديدة القبح، أكل منها الزمان وشرب. وجلب عليها النقمة، وزاد من حدة موقف الشعب على رفض الحكم الذي تعكسه، ورغم جهد الآلة الإعلامية الأمنية المزدوجة، ازداد الناس جرأة وصاروا أكثر استعدادا للتضحية، والمشكلة هي في أن الكذب تحول إلى سياسة وأسلوب حياة وأيديولوجية، فزاد من المخاطر المحدقة بالبلاد، وفتح الأبواب أمام احتمالات لا تبشر بخير. سياسة يديرها حسني مبارك، وأيديولوجية يعتنقها «الرئيس الموازي»، وكأن طبيعيا أن ينشىء لذلك جهازا متخصصا في إطلاق الأكاذيب، ومع معرفة من يشغلون المناصب العليا به يصدقونها، ويتعاملون معها كحقائق، ويطلبون من المواطنين الثقة في صحتها!!.

ولم يأخذ كثير من المراقبين والمهتمين ما صدر من المؤتمر على محمل الجد، خاصة عند سماع عبارات إنشائية وشعارات معادة ومقولات مكررة، عبرت عن ضحالة وجهالة من لاكوها وتفوهوا بها. وفقدت كلمات وعبارت كثيرة معانيها الحقيقية، وتحولت قاعات المؤتمر إلى صالات للتهريج وثقل الدم، وعندما يحدث هذا مع شعب لماح وسريع النكتة، يزداد السخط، حتى التهريج لم يكن متقنا بالصورة التي تبعث على الضحك، وكان ثقل ظل رئيس الوزراء ومحاولته الاستظراف، واكتئاب جمال مبارك، الملازم له من سنوات، واصفرار نظرته وتوتر سحنته، كل هذا جعل العرض مثيرا للرثاء.. وكانت أكثر النكات سخفا هي تلك التي عبر عنها شعار «الفكر الجديد.. إنطلاقة ثانية نحو المستقبل»، فالناس خبرت الفكر الجديد، منذ أن تولى النجل الرئاسة الموازية، واكتشفت أنه تهويمات هدفها التغطية على اغتصاب الحكم ونهب الثروة واختطاف الدولة، جهارا نهارا دون سند من مبدأ أو قانون أو خلق، وعن الانطلاقة الأولى، خلال السنة الماضية، ففضلا عن أنها تكفلت باستكمال «اتباع الاسلوب الغربي» في مؤسسة الرئاسة، فإنها رسخت إنعزالية التوجه وأكدت عزلة الدور، ومن تابع الدور الذي قام به حسني مبارك ضد المقاومة اللبنانية، والصورة المزرية لموقفه المؤيد للآلة العسكرية الصهيونية والمساند لمهمتها في لبنان.. وحصاره للفلسطينيين والضغط عليهم، فهذا يكفي، وقد زاد العداء له فور أن اختار لنفسه موقعا يستكمل به الضلع الناقص في المربع السعودي الأردني الصهيوني. وكانت فترة ما بين الدورتين الأسوأ والأكثر بطشا، والأكثر في عدد ضحايا حوادث الإهمال المتعمد في وسائل النقل البحري والبري. هذا ما قدمت الإنطلاقة الأولى.

ماذا نتوقع من الفكر الجديد والإنطلاقة الثانية نحو المستقبل؟ والفكر الجديد، هذا العام، لن يختلف عن سابقه، ولن يعني أكثر من استمرار التهويمات، وتعزيز عملية «التغريب»، المطلوبة وتعميمها على مجمل الوضع الإقليمي، خاصة في فلسطين ولبنان وسورية، والإنطلاقة الثانية المطلوبة مهمتها تبديد ما تبقى من رصيد وثروة، فلا تجد الأجيال القادمة إلا الأطلال والخراب. وكانت عمليات التدليس واضحة في نقد «النجل» للإدارة الأمريكية وعتاب الدولة الصهيونية، ليعطي الانطباع، بأنه على خلاف مع واشنطن وتل أبيب!! وانكشف المستور عندما ذكر حسني مبارك ما تعود عليه، برسالته الواضحة إلى المسؤولين الصهاينة، وفيها ادعى بأنه لن يتورط في أي معركة، بحجة أنه زاهد في كسب الشعبية، وكأنه يمتلك شعبية أصلا!!. والرسالة واضحة افعلوا في المنطقة ما تشاؤون، وعربدوا فيها بما يحلو لكم ونحن لن نحرك ساكنا، أي أنه على عهده معهم باق. وينتقل من هذا اللين مع الصهاينة إلى التشدد مع إيران، فأي موقف أو استعداد للاحتمالات التي قد تواجه الأمن الوطني يعتبره حسني مبارك توريطا!!. حتى لو كان في حجم قصاصة ورق تنقل امتعاضه مما تقوم به القوات الصهيونية في فلسطين ولبنان أو الصهيو أنجلو أمريكية في العراق.

إن المستقر في الوجدان العام هو أن المؤتمر لم يكن أكثر من مهرجان لكلمات الزيف وخطابات الولاء وقصائد المديح في «بروفة» التتويج في مسيرة «التوريث»، التي يعتقد البعض أنها اقتربت من محطتها النهائية. ومعها بدأ الإفصاح، بعد خمسة وعشرين عاما من رفض تعيين نائب الرئيس، عن إمكانية تعيين من يشغل المنصب، في محاولة شبه أخيرة لقياس رد الفعل إذا ما تم تعيين «النجل» نائبا للأب، وحسب ما لدينا من معلومات فإن هذا، في جانب منه، يعكس حيرة طفت على السطح بعد تعثر سيناريوهات «التوريث» العديدة. ويأتي الإفصاح للتخفيف من قلق الأب وخوفه، من الاستعجال المسيطر على «النجل» وجماعته، فمنصب نائب الرئيس يبقي «النجل» في معية الأب، ويكبح جماح المستعجلين، الذين يتصورهم أنهم سيغدرون به قبل أن تنتقل الرئاسة رسميا منه إلى «النجل».

لم يكن الإخراج بمستوى ما صرف على شركات العلاقات العامة، التي أعدت المؤتمر، كان متدنيا للغاية، وجاء اعتمادهم الطريقة الأمريكية، وقيامها على الإبهار الزائد، في مجتمع أغلبيته مطحونة ومحدودة الدخل، استفزازا للمشاعر. وكثير من مهرجانات مصر خرجت من رحم موالد «آل البيت» وأولياء الله، فالتعبير الأقرب لوصف ما تم هو «المولد». والمهرجان غير المنظم والعشوائي يوصف عادة بأنه «مولد وصاحبه غائب»، لكن هذا «المولد» كان له صاحبان، أحدهما آفل وراحل والآخر منتظر ومتربص، و«مولد» بنكهة أمريكية، ظهر بدائيا ومضحكا، وصفه أحدهم بأنه «مَسْخَرَة»، مادتها دفاع مستميت عن الاحتكار ورجال الأعمال، وتأكيد حقهم في النهب والسرقة، وتبرير تصرفاتهم.

وعن الأرقام التي وردت في الأوراق المقدمة كانت متناقضة مع ما هو موجود على أرض الواقع، فالأرقام التي ادعت ارتفاع معدل النمو نقضها الواقع، فكيف لهذا المعدل أن يرتفع ومستوى المعيشة في تدهور مستمر؟ وهل يستقيم ذلك مع ارتفاع نسبة التضخم، وزيادة عدد العاطلين، وانفلات الأسعار، واتساع الفجوة بين الفقر والغنى، وانهيار الخدمات؟! ويستطيع الإنسان أن يلمس هذا واضحا في كافة المجالات، فظهور العشوائيات كان ثمرة دعم رجال الأعمال والمحتكرين والأثرياء، ولو استمرت الحكومات تتحمل مسؤوليتها في بناء مساكن لمحدودي الدخل ما ظهرت عشوائيات الإسكان، المهددة للاستقرار الاجتماعي، ولو لم يخترع حسام بدراوي، عضو أمانة السياسات، بدعة العلاج «الاستثماري»، على حساب العلاج المجاني، ما انهارت المستشفيات العامة، وهو يقوم بمهمته الآن لإلغاء ما تبقى من مجانية في التعليم، وقد أطلق هذا «المولد» يد رجال الأعمال للاستثمار في التعليم الخاص، على كافة المستويات، بداية من الحضانة وصولا إلى الجامعة، وانتشرت الجامعات الخاصة انتشار الطاعون، لمنع وحرمان غير القادرين من التعليم، تعميقا لنظرية «الشبعانين» ونظرية «اللياقة الاجتماعية»، وهم يدعون أنهم ينقلون تجارب نظم تقدمت بهذا الأسلوب، مع أن مارغريت ثاتشر، أقوى رؤساء وزراء بريطانيا من المحافظين، كانت إبنة لبقال، وحل محلها جون ميجور، الذي بدأ حياته في سيرك، وانتقل للعمل، وعمره ستة عشر عاما، كساع ينقل الأوراق بين مكاتب الشركات المالية بحي المال الشهير «السيتي»، وغيرهم كثير من ساسة ومشاهير العالم الغربي. وهنا بدا عبد الناصر محقا وهو يقول: «إن شريعة الحق.. شريعة الله تأبى أن يكون الفقر إرثا والغنى إرثا»، ومعنى هذا لا يجب أن يكون الفقر مبررا لحرمان الإنسان من حق الحياة الكريمة، ومن فرص التعليم والعمل والرعاية الصحية والضمان الاجتماعي والمشاركة السياسية.

وضيق المساحة يحول دون التطرق إلى إهمال معالجة الانهيارات المتفشية في وسائط النقل، وحال السكك الحديدية المأساوي، في بلد هو الأقدم في استخدامها، منذ أكثر من مئة وخمسين عاما، بعد بريطانيا العظمى مباشرة، فتصفيتها مطلوبة لتقطيع أوصال مصر، وكانت، وما زالت، واحدة من أهم عناصر التماسك والتواصل الجغرافي بين أبنائها، وبيعها «خردة» لمحتكري الحديد ووكلاء شركات النقل الأمريكية والغربية والصهيونية، وتم مؤخرا إيقاف أكثر من أربعين في المئة من قاطراتها عن العمل بدعوى حماية الركاب!!، ويصنف هذا الخراب «المستعجل» تحت بند «الإصلاح الاقتصادي»، ليأتي «الإصلاح السياسي» ليمكن المخربين من رقاب المواطنين، فهم الأشد عداء للحريات والديمقراطية والمساواة ودولة القانون. وداخل حزبهم لا يمارسون الانتخابات، والأب الذي اعتاد اختيار مسؤوليه وتعيينهم، فوض «النجل» بدوره لاختيار الأعضاء الجدد، وتعيين المسؤولين، ونتيجة لذلك لا يجرؤ احد من هؤلاء أن يخرج عن النص، أو يتوسم في نفسه القدرة على تقديم اقتراح أو مشروع أو برنامج لمقاومة الفساد أو الرشوة أو النهب المنظم، أو محاربة الفقر، أو التصدي لمخطط تصفية الفقراء وقتلهم، بكل صنوف القتل وأدواته.. بنشر التلوث والأوبئة الفتاكة.. وبالإهمال المتعمد في العلاج والصحة، فما دام الأباطرة الجدد محصنين في قلاعهم، وحصونهم وقصورهم ومستوطناتهم، الممتدة من شواطئ البحر الأحمر وشرم الشيخ حتى نهاية الساحل الشمالي، على البحر الأبيض، فليذهب الوطن والمواطن إلى الجحيم. وهذا هو أشد أنواع الانحطاط السياسي والأخلاقي، وهو شيء لم يمر بمصر من قبل.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

الطالباني يشكر بطل احتلال العراق

هيفاء زنكنة *

■ هناك في امريكا مفردة واحدة هي التي تحدد علاقتها بالانجازات الانسانية والاقتصادية الامريكية وغيرها وانعكاساتها على العالم. كما ترسم علاقتها بالاعاصير والهزات الارضية وتغيرات البيئة. وهي المفردة التي ترسم، بالتأكيد، علاقة امريكا بالعالم الخارجي سياسيا واقتصاديا وعسكريا. هذه المفردة السحرية هي الانتخابات بانواعها الرئاسية والكونغرسية والمحلية لاختيار حكام الولايات. وتغطي المفردة ببهرجتها ونشاطاتها الصادقة والتآمرية وكل مايدور حولها ومن اجلها كل صغيرة وكبيرة في التقويم السياسي والاقتصادي وانعكاساته على الحياتي العام.

وتحيط بآلية الانتخابات التي يتم التحضير لها قبل مايزيد على العام عادة، مؤسسات ومراكز أبحاث وهيئات متخصصة ترسم وتخطط وتتنبأ بالنتائج. كما تجري الاستفتاءات لترصد صعود وهبوط شعبية المرشحين وامكانية اجراء تغييرات سريعة لصالح مرشح معين، اذا ما لوحظ تردي شعبيته وبالتالي احتمال خسارته.

ان جوهر الفوز في الانتخابات في امريكا هو ان الحزب المنتخب سيمتلك القوة والنفوذ وما يرافقها من صلاحيات هائلة على الرغم من وجود الدستور والقوانين. ومن خلال الفوز بالانتخابات تتم تنمية رأسمال الفائز والاحتكارات التي يمثلها، كما لاحظنا بوضوح بعد غزو العراق، اذ حصد قادة الغزو والمروجون له أكبر الارباح المادية بعد حصولهم على عقود بالتجهيزات والبناء الوهمي. لذلك تصرف الميزانيات الهائلة، والحديث هنا عن الملايين والمليارات، من أجل الفوز بالانتخابات وابعاد شبح الخسارة بأي شكل وطريقة ممكنة، أملا في الحصول على مغانم وأرباح أكبر بعد تحقيق الفوز.

ويلعب الاعلام دورا أساسيا في تحسين او تشويه صورة مرشح ما. وقد يصل تأثير الدور الاعلامي حد تحديد خسارة او فوز المرشح اذا ما استخدم بالشكل الصحيح مع عوامل أخرى مؤثرة. هنا سأعود الى العراق لانه بات واحدا من العوامل الرئيسية في تحديد نتائج الانتخابات الامريكية. وهي مسألة تماثل ما حدث اثناء الحرب الامريكية ضد فيتنام، اذ ان أحد العوامل التي قررت مصير الغزو الامريكي وفشله هو تصاعد الخسارة العسكرية في فيتنام وانعكاسها على شعبية الرئيس الامريكي وحزبه وبالتالي الانتخابات الامريكية.

وتدل آخر استفتاءات الرأي العام الامريكي، حسب مؤسسة زغبي لشهر أيلول (سبتمبر)، بأن الحرب على العراق هي المؤشر الرئيسي للفوز او الخسارة في الانتخابات التي ستجري بعد شهرين. اذ ان 51 بالمئة من الامريكيين يعتقدون بان الحرب وبقاء قواتهم في العراق لا يستحق التضحية بحياة جنودهم. مما يشكل ضغطا كبيرا على الحزب الجمهوري. ويتبنى الحزب الديمقراطي قضية العراق بشكل عام وجدولة سحب القوات الامريكية كنقطة اساسية في برنامجه للانتخابات. من هنا تنبع ضرورة استنفار كل الوسائل الاعلامية والسياسية وبضمنها حملات التشهير والفضائح جنبا الى جنب مع استقطاب اصوات الممثلين والنجوم وكل من له تأثير على الناخب الامريكي ليساعد على احراز الفوز. كما تلجأ مؤسسات الحملات الانتخابية الى تنظيم الندوات والامسيات والحفلات والمهرجانات والاحتفالات والزيارات المكوكية للشخصيات المعروفة فضلا عن استكتاب الصحافيين والاعلاميين وحجز المساحات الاعلانية والترويجية في الصحف المحلية والوطنية معا من اجل الوصول الى الناخب اينما كان. ويتم احيانا جلب عدد من الشخصيات المعروفة من أهل بلد معني او مبتلى بالسياسة الامريكية، للترويج لنجاح السياسة.

هكذا تمت دعوة صفية السهيل النائبة في برلمان الاحتلال حاليا لترفع اصبعها البنفسجي وتحتضن ام الجندي الامريكي القاتل للعراقيين اثناء القاء بوش خطاب الاتحاد في العام الماضي. هكذا، ايضا، تمت دعوة المالكي ليتغزل بسياسة الحزب الجمهوري ويطالب بتمديد بقاء قوات الاحتلال وزيادة عددها في الكونغرس.

وتحت هذا النمط الترويجي، أي تنظيم الزيارات المكوكية لشخصيات أهل البلد المحتل وشراء المساحة الاعلانية في الصحف المحلية والوطنية لتغطية اخبار الزيارة والتصريحات، يمكن تصنيف استدعاء الطالباني، رئيس حكومة الاحتلال في العراق، الى واشنطن في الآونة الاخيرة.

حيث نفد الطالباني، كما فعلت السهيل ووفود النساء الدائرات في المعسكرات لتشجيع الجنود الامريكيين وكما فعل المالكي من قبله، برنامجا حافلا لصالح الادارة الامريكية – الحزب الجمهوري في جدول التهيئة للانتخابات المقبلة. فلا غرابة اذن ان تحظى زيارة الطالباني الى واشنطن باهتمام خاص من قبل الحكومة والمسؤولين الأمريكيين ورافقتها اجراءات مميزة تعبيرا عن الحفاوة والتقدير للطالباني والوفد المرافق له، حسب تقارير الصحف الامريكية والعراقية الرسمية. وقد تضمن برنامج الطالباني الترويجي القاء كلمة أمام السياسيين وصانعي القرار والمحللين الامريكيين، وذلك خلال لقاء نظم في معهد بروكينز للدراسات الاستراتيجية في واشنطن. واجراء المقابلات مع الصحافة واجهزة الاعلام الامريكية فضلا عن لقاء خاص استغرق مدة ساعة مع بوش، شاركه بعده منصة المؤتمر الصحافي.

كالعادة وكما هو متوقع، عبر الطالباني في المؤتمر عن سعادته بلقاء بوش الذي، وبكلمات الطالباني «نعتبره بطل تحرير العراق الذي فتح الابواب للعراقيين ليتمتعوا بالديمقراطية والحرية وحقوق الانسان». ولن استمر بنقل ماقاله الطالباني ولن اناقش مسألة ادعاءات تمتع العراقيين بالديمقراطية والحرية وحقوق الانسان لانني متيقنة تماما بان الطالباني نفسه لايصدق هذه الاكاذيب الخارقة التي يدحضها بشكل مطلق تقرير حقوق الانسان الصادرعن بعثة الامم المتحدة مكتب مساعدة العراق يوم أمس عن اشتراك قوات الاحتلال المسماة بمتعددة الجنسيات مع القوات العراقية والميليشيات بتعذيب وقتل وقطع اوصال المواطنين العراقيين في كافة السجون.

ولكي يستخلص منظمو دعوة الطالباني آخر قطرة من الفائدة من تصريحاته المطابقة لتصريحات بوش وافراد ادارته، كتبوا له رسالة موجهة الى الشعب الامريكي. تم شراء المساحة المخصصة للرسالة الترويجية من شركة ماكلاتشي . وهي مؤسسة دار نشر مقرها في كاليفورنيا، تملك 32 صحيفة يومية وطنية و18 صحيفة مجتمعية ويبلغ توزيعها 3,3 مليون كما تسيطر على عدد من مواقع الانترنت. وقد نشرت رسالة الطالباني في كافة الصحف والمواقع التي تديرها الشركة سوية بتاريخ 19 أيلول (سبتمبر). فما الذي كتبه كتاب خطب الادارة الامريكية للطالباني بحيث استحق النشر في مجموعة صحف ماكلاتشي؟

انها تنقل للامريكيين صورة رائعة عن نجاح حرب بوش على العراق وتقول لهم كل مايرغبون بسماعه عن بطولات ابنائهم وتضحياتهم. يخاطب الطالباني الامريكيين قائلا بانه جاء لزيارتهم ممثلا للعراق الديمقراطي الحر، وناقلا لهم امتنان جميع العراقيين، مفصحا عن العرفان «لأولئك الذين فقدوا أحباء لهم في العراق. اننا نشعر بألمكم، ونحن نبجل تضحياتكم وسوف لا ننساكم. أقول لكل من لديه اليوم أقارب أو أصدقاء في العراق، ان أبناءكم وبناتكم يقومون بمساعدتنا خلال هذا التحول التاريخي والمهم وسوف نتذكر دائما التضحيات التي تقدمها أمريكا من اجل العراق. شكرا للولايات المتحدة الأمريكية.

ان يوم التاسع من نيسان عام 2003 والذي هو يوم التحرير الذي آذن بحلول عهد جديد في تاريخ العراق والمنطقة» ثم يستطرد الطالباني بشرح ماتم تحقيقه للطوائف والاقليات بفضل امريكا التي «في كل مرة أزور فيها الولايات المتحدة الأمريكية، اقتنع بفضيلة وصحة أفكار الحكومة الأمريكية، وكرم شعبها». ثم ينتقل للحديث عن الغنائم الاقتصادية المستمرة، مطمئنا اياهم بان «قانون الاستثمار الجديد مطروح على البرلمان الآن، ومن شأنه أن يقوي قطاعنا الخاص وينظم اجراءات البدء بأعمال جديدة ويفتح البلاد أمام الاستثمارات والمشاركات الأجنبية بصورة أوسع»، وليزيد من وردية الصورة يخبرهم بان «الازدهار المالي والاقتصادي يمكن ملاحظته في المناطق الأكثر أمنا في العراق، حيث يوجد في مدينة السليمانية باقليم كردستان العراقي أكثر من 2000 مليونير، مقارنة مع 12 قبل التحرير». ويلخص الطالباني مقاومة العراقيين للاحتلال بانها محاولات «فريق من الارهابيين الدوليين وأنصار النظام القديم من الموالين لصدام ... لانهم ضد الدستور والانتخابات».

ولأن كاتب الرسالة، كتب المحتوى نفسه، على مدى السنوات الثلاث الاخيرة، وجد نفسه يكرر حرفيا مقاطع من خطب سابقة لبوش السابقة، فاستطرد كاتبا : «استطيع أن أؤكد لكم أن الانسحاب الفوري لقوات التحالف، سيؤدي الى تفاقم التوتر ما بين المكونات المختلفة للمجتمع، وسنفقد كليا آفاق قيام عراق آمن...ان بوسعي التأكيد على ان الجنود الأمريكيين لا يقاتلون عبثا».

ويختم الطالباني بوش أو الاصح كاتب الرسالة الذي استغرقه الدور، رسالته بلهجة انذار ووعيد لكل من يتجرأ ولايؤيد سياسة الحزب الجمهوري في العراق، قائلا: «أرجو ان تضعوا في حسبانكم ما يمكن أن يعنيه الفشل في العراق وما سيعنيه للعراق والولايات المتحدة والمجتمع الدولي».

وأنا أقرأ رسالة الطالباني واستمع الى تصريحاته التي ادلى بها في امريكا لا استطيع الا ان انتبه لكلمات الشكر والثناء التي منحها بسخاء كبير لسياسي الادارة الامريكية، قتلة المواطنين العراقيين وزارعي الارهاب بين ظهرانينا ليحافظوا على سلامة مواطنيهم وبلدهم. اراقب صورته ضاحكا ملء جسده وهو يحتضن قتلة ابناء شعبه فأتساءل: لماذا لم يقلدهم، على الاقل، في حرصهم على ابناء شعبهم؟

* كاتبة من العراق

محنة مثقفي سورية

حكم البابا

■ الحالة الملتبسة لحادثة اعتقال أو استدعاء المثقف والمخرج السينمائي السوري عمر أميرلاي للتحقيق معه ومنعه من السفر بسبب عرض فيلمه (الطوفان) في قناة العربية بعد ثلاث سنوات من انتاجه بموافقة وزارة الثقافة السورية، لها دلالات أبعد من حجمها الفردي، لأنها تعني أنه لم تعد هناك أي حصانة للشخصيات الثقافية أو الفنية السورية مهما كانت قيمتها الابداعية أو حضورها الثقافي والإعلامي داخل سورية وخارجها.

فخلال العقود الماضية تمتع المبدعون والمثقفون السوريون بوضع خاص (حتى في أوج لحظات اصطدامهم بأي من سياسات السلطة) طالما ترك لهم الباب مواربا ولم يغلقه في وجوههم أبداً، من قبيل كتابتهم في الصحف العربية بعد منعهم من الكتابة في الصحف السورية، أو طباعة كتبهم في دور النشر اللبنانية بعد منع إصدارها في سورية، أو عرض أفلامهم في المهرجانات الدولية بعد منعها من العرض في سورية، وسمح لهم بهامش رغم ضيقه إلاّ أنه غالباً ماكان يترك الزر الأخير للقميص حول أعناقهم مفتوحاً.

وخلال العقود الماضية لم يتم اعتقال أو تسريح أي مبدع أو مثقف سوري من عمله بسبب عمل إبداعي أو إعلامي أو توقيع بيان أو المشاركة في ندوة أو اجتماع، وأقسى إجراء تم اتخاذه بحق بعضهم هو نقلهم من وظائفهم في مؤسسات وزارة الإعلام إلى وزارات ومؤسسات الدولة الأخرى، فمن بيانهم الشهير بعد مجزرة تل الزعتر، مروراً بأصواتهم المرتفعة عند اجتماعهم بأعضاء الجبهة الوطنية التقدمية أيام الصراع الدموي بين الاخوان المسلمين والسلطة السورية، إلى بياناتهم ضد فتوى الامام الخميني بإهدار دم الكاتب سلمان رشدي بعد صدور روايته (آيات شيطانية)، وضد التحالف الدولي لمواجهة الغزو العراقي للكويت، لم تقم السلطة السورية بأكثر من إجراءات بسيطة ضد مثقفي سورية للتعبير عن سخطها منهم، والاستثناءان الوحيدان لسياسة غض النظر عن المثقفين واللجوء إلى القسوة في التعامل معهما تجلى أولهما في اعتقال الكاتب ميشيل كيلو في ثمانينيات القرن الماضي، وكان المبرر حينها انتماءه السياسي وليس شغله الثقافي أو نشاطه في الشأن العام، أما ثانيهما فقد ظهر عبر الملاحقة الأمنية والمنع من السفر للشاعر الراحل ممدوح عدوان في تسعينيات القرن الماضي، من دون أي مبرر فعلي إلاّ رغبة وزير الإعلام السوري الأسبق محمد سلمان في المغالاة بإظهار ولائه للسلطة والتدليس لها.

دلالات اعتقال الكاتب ميشيل كيلو وما تبعه من تسريح عدد من المثقفين والصحافيين من عملهم بسبب توقيعهم على مجرد بيان، واستدعاء المخرج عمر أميرلاي للتحقيق معه ومنعه من السفر بسبب فيلمه (الطوفان) مؤخراً، تؤشر إلى تحول نوعي في علاقة السلطة بالمثقفين في سورية، التي طالما اعتبرتهم لايشكلون خطراً فعلياً على وجودها، باعتبارهم أفراداً لاتسمح لهم فرديتهم بالتحول إلى تنظيم حتى في أكثر بياناتهم إجماعاً، وطالما نظرت إلى أصواتهم وبياناتهم وأعمالهم على أنها ليست أكثر من صفير صمام البخار بالنسبة لطنجرة ضغط، يصدر الصفير وينفث الدخان ويحمي من الانفجار رغم أنه لايخفف الضغط والغليان.

نهاية سياسة غض النظر مع مثقفي سورية ومبدعيها هي بداية حملة مكارثية لفصل ارتباطهم بالشأن العام الذي كان لهم الدور الأبرز في إضفاء طابع سلمي وديمقراطي على حراكه في السنوات الماضية، وبانتظار نتائجها فثقافة سورية ومثقفيها اليوم في محنة حقيقية.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN